فهم النص القرآني
بين القبول والرد
(قراءة الحداثيين أنموذجاً)

Understanding the Qur’anic text

Between acceptance and response (read modernists as a model)

الأستاذ الدكتور

خالد إبراهيم مسلم الآلوسي

Professor Dr.

Khaled Ibrahim Muslim Alaloosi

الجامعة العراقية / كلية العلوم الإسلامية

الكلمات المفتوحة:
الفهم –النص القرآني –القبول –الرد –الحداثيين– النموذج

الملخص

كان لاختلاف الدلالة في فهم النص القرآني مغزى كبير في التوصل لمعرفة المقصود من النص وهذه المشكلة التي يثيرها الباحث في هذا البحث ثم تتبع هذه المشكلة مشكلة أخرى وهي القراءة الحداثية للنص القرآني والتي تجعل من النص القرآني نصا غير مقدس باعتباره نصا أدبيا تأريخيا وهي قراءة وجدت على يدي من يعرفون اليوم بالحداثيين أو العصرانيين أو التنويريين وطريقتهم في نظرهم للنص المقدس تقوم على إعمال المصالح الدنيوية المحضة ومواكبة العصر ومسايرة التطور، فمشكلة البحث وأهميته، تكون على أساس لتقرير أمرٍ مهمٍ في قبول النص ورده فهناك من ينظر في النصوص ليهتدي بها ويسير وراءها، وهناك من يفكر خارجها ولا ياتي إليها الإ لمهمة التخلص منها .وبهذا ينكشف زيف هذه قراءة الحداثيين المنحرفة وديدنهم لردع الناس عن المنهج القويم الذي أراده الله للبشرية للفوز في الدارين. وهنا تتجلى قراءتان قراءة قائمة على المنهج القويم والتي نالها القبول وأخرى قد جانبت الصواب نتيجة الفهم السقيم وتحريف النصوص لأجل الطعن في النص المقدس وهي بذلك جانبت المنهج العلمي والقويم في الفهم مما جعلها غير صالحة للقبول فكانت محل رد وردع من قبل العلماء المحققين.

Abstract:

The difference in the understanding of the Qur'anic text had a great significance in reaching out to know what is meant by the text and this problem raised by the researcher in this research and then follow this problem another problem which is the modern reading of the Qur'anic text, which makes the Qur'anic text an unholy text as a historical literary text, a reading found by those who know today modernists, modernists or Enlightenmentand their way in their view of the holy text is based on the realization of pure interests and keeping pace with the times and keeping pace with the evolution, the problem of research and its importance is based on the To decide what is important in accepting the text and its reply, there are those who look at the texts to guide them and walk behind them, and there are those who think outside it and do not come to it the task of getting rid of them. Here, two readings based on the correct method, which have been accepted, and others that have been corrected as a result of the poor understanding and distortion of texts in order to challenge the sacred text, thus sidestepping the scientific method and correct understanding, which made it unacceptable, was rejected and deterred by scientists.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

أما بعد:

فإن القرآن الكريم قد ألف في تفسيره الكثير ومع كثرتها فقد وقع الأختلاف فيها ،وهذه حقيقة لا ينكرها إلا مكابر عديم الإطلاع عليها ،وهذا امر طبيعي لأن الأفهام تختلف في دلالات النصوص كل حسب ما يتوفر لديه من أدلة وهي سنة دارجة في الخلق أجمعين قال تعالى(وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ) ولذا كان لأختلاف الدلالة في فهم النص القرآني مغزى كبير في التوصل لمعرفة المقصود من النص وهذه المشكلة التي يثيرها الباحث في هذا البحث ثم تتبع هذه المشكلة مشكلة أخرى وهي القراءة الحداثية للنص القرآني والتي تجعل من النص القرآني نصا غير مقدس باعتباره نصا أدبيا تأريخيا وهي قراءة وجدت على يدي من يعرفون اليوم بالحداثيين أو العصرانيين أو التنويريين وطريقتهم في نظرهم للنص المقدس تقوم على إعمال المصالح الدنيوية المحضة ومواكبة العصر ومسايرة التطور، ثم وجدوا أثناء قراءتهم نصوصا وأدلة لا تنتج ما يريدون ،فأضطروا إلى تأويلها وتحريفها حتى لا تكون عائقا عن الحداثة والتقدم بل إن بعضهم لم يلتفت إليها أصلا إلا لمّا رأى أن الناس منجذبون إلى هذه النصوص ،فعلم أن مجرد الإعراض عنها لا يكفي ،فلابد من عودة إليها لتخليص العقل المسلم من الإنجذاب نحوها فهنا تكمن المشكلة.

مشكلة البحث وأهميته ،لتقرير أمرٍ مهمٍ في قبول النص ورده فهناك من ينظر في النصوص ليهتدي بها ويسير وراءها ،وهناك من يفكر خارجها ولا ياتي إليها الإ لمهمة التخلص منها .وبهذا ينكشف زيف هذه القراءة المنحرفة وديدن أصحابها الذين همهم ردع الناس عن المنهج القويم الذي أراده الله للبشرية للفوز في الدارين.

نوع الدراسة:استقرائية تحليلية للوصول إلى زيف القراءة الحداثية،والعصرانية.

غاية البحث: بيان أن هنالك قرائتين قراءة قائمة على المنهج القويم والتي نالها القبول وأخرى قد جانبت الصواب نتيجة الفهم السقيم وتحريف النصوص لأجل الطعن في النص المقدس وهي بذلك جانبت المنهج العلمي والقويم في الفهم مما جعلها غير صالحة للقبول فكانت محل رد وردع من قبل العلماء المحققين. وقد اقتضت الدراسة أن تكون على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة

المقدمة تكلمت فيها على أهمية الموضوع وأسبابه ونوع الدراسة وغايتها.أما التمهيد فقد كان التعريف بمصطلحات العنوان ميدانه وأساسه

ثم المبحث الأول والذي عنونته بفهم النص القرآني ضوابطه وأهميته. حتى يكون قاعدة انطلاقنا في الدراسة وهو بمثابة الميزان في وضع أسس الدراسة وقيامها عليه

ثم المبحث الثاني والذي كان عنوانه: فهم النص القرآني بين قبوله ورده. وذلك بناء على الميزان المتقدم

في المبحث السابق ضمن ضوابط الفهم الصحيح لكي تخرج القراءة الصحيحة وفهما من القراءة الأخرى التي تخالف تلك الضوابط فأفرزت فرقا كانت لا تحسن التعامل مع القرآن الكريم وفهمه نتيجة أسباب قيدتها في هذا المبحث

ثم المبحث الثالث والذي عنونته:الحداثيون والقراءة الخاطئة لنصوص القرآن.والذي يعد ثمرة هذه الدراسة وبيان الفهم الخاطئ لفرقة أخطأت القراءة والفهم نتيجة منهجها التي سارت عليه والتي أرادت خداع كثير من الناس نتيجة تقمصها ثوب الحداثة الذي يظن من يسمعه أنه تجديد لما سار عليه قراء النص منذ القدم وهي في حقيقة الأمر معول هدم في ذلك وأخيرا وصلت إلى الخاتمة لبيان أهم النتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة العلمية المنضبط ثم ثبتا للمصادر والمراجع لأنهاء البحث والله أسال أن يجعل هذه الدراسة محط أنظار العلماء من القراء والكتاب لمعرفة مثل هذه الفرق التي لا تفتأ أن تخرج في كل زمان ومكان لمحاربة الإسلام والصد عنه ما فتئت إلى ذلك سبيلا والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

التعريف بمصطلحات العنوان في اللغة والاصطلاح.

لكي يتضح لنا الموضوع بصورة شاملة لا بد من التعرف على مصطلحات وردت في هذا البحث لكي تكون الدراسة علمية ودقيقة من ذلك تعريف الفهم ،والنص القرآني، وقراءة الحداثيين فأقول:

الفهم في اللغة مصدر يطلق على المعرفة قال ابن فارس(ت:٣٩٥ه):» الفاء والهاء والميم علم الشيء»[(١)]

والفَهْمُ: معرفة الشَّيْء بِالْقَلْبِ، يقال فَهِمَه فهْماً وفَهَماً وفَهامَةً وَرجل فَهِمٌ: سريع الفَهْمِ.وأفْهَمَهُ الْأَمر، وفَهَّمَهُ إِيَّاه: جعله يَفهَمه.واستَفهَمه: سَأَلَهُ أَن يُفْهِمَه[(٢)].

ونظرا لوضوح دلالة اللفظ للناس مما حدا ببعض المعجميين إلى القول بانطباق دلالته في أذهان الناس فأطلق على : الفَهْم والفَهَم:الساكن الهاء والمتحرك كونهما معروفين ويقال:وَرجل فَهْم من قوم فُهَماء[(٣)].

وفهمت الشيء فَهْما وفَهَما : بسكون الهاء وفتحها عرفته وعقلته[(٤)] وتمام الفهم هو شدة الذكاء وسرعة القبول[(٥)]

وبهذا يتبين لنا أن الفَهْمَ يكون في الأمور المعنوية ولهذا قيل أن الفهم: معرفة الشَّيْء بِالْقَلْبِ[(٦)] وقد يكون في الأمور الحسية وذلك إذا كان متعلقا بالإشارة يقال: الفهم يكون في الكلام وغيره من البيان

(١) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس:مادة(فهم)٤/ ٤٥٧.
(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]:٤/ ٣٣٨.
(٣) ينظر:جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ):٢/ ٩٧٢
(٤) ينظر: كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ):٤/ ٦١.
(٥) ينظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: ١/ ٤٠٠.
(٦) ينظر:المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]:٤/ ٣٣٨.

كالإشارة ألا ترى أنك تقول فَهِمْتُ ما قلتَ وفَهِمتُ ما أشرت به إلي، وقد ذكر أبو هلال العسكري في كتابه الفروق أن الفَهْمَ: تصور المعنى من لفظ المخاطب، وقيل: أدراك خفي، دقيق، فهو أخص من العلم، لان العلم نفس الإدراك سواء كان خفيا أو جليا، ولهذا قال سبحانه في قصة داود وسليمان عليهما السلام: (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما)[1].خص الفهم بسليمان، وعمم العلم لداود وسليمان.

أما الفهم في الاصطلاح: فهو تصور المعنى من لفظ المخاطب[2].

وقال الراغب: هيئة للنفس بها يتحقق معاني ما يحسن[3].

ولعل التعريف الآتي يصب في موضوعنا والذي يقول: جودة استعداد الذِّهن للاستنباط[4].

ثانيا:النص القرآني كلمة متكونة من جزءين الأولى نص والثانية القرآني ولكي يكون لنا تصور منضبط لهذا المصطلح لا بد أن نتعرف على كل جزء على حدة ثم تعريفه كونه مركبا لقبا على الموضوع فأقول.

النص يطلق في اللغة ويراد به الرفع قال الخليل في نص أنها الرفع من قولك: نصصت الحديث إلى فلان نصا أي رفعته،قال: ونص الحديث إلى أهله ... فان الوثيقة في نصه ومنه سمي المكان التي الذي تقعد عليه العروس منصة ومنه أيضا الرفع في السير إذا نصصت الناقة[5].

ويطلق النص على الْإِسْنَاد إِلَى الرئيس الْأَكْبَر. وعلى التَّوْقيف. أو التَّعْيِين على شيءٍ مّا.وهذا ما نقله الأزهري عن أبن الأعرابي[6].

وحقيقة النص يجليها لنا أبن فارس في مقاييسه فيقول: «النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء. منه قولهم نص الحديث إلى فلان: رفعه إليه. والنص في السير أرفعه. يقال: نصنصت ناقتي. وسير نص ونصيص. ومنصة العروس منه أيضا. وبات فلان منتصا على بعيره، أي منتصبا... ونصصت الرجل: استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج ما عنده»[7].وكل هذا يجمعه الظهور ولهذا جاء في لسان العرب أن النص كل شيء أظهرته... ومنه قول الفقهاء: نص القرآن ونص السنة أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام[8]،فهو إظهار لتلك الأحكام بعد أن تظهر وترفع عن طريق

(١) سورة الأنبياء :من الآية:٧٩.
(٢) كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ):١٦٩.
(٣) مفردات غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ):٣٨٦.
(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل :٣/ ١٧٤٨.
(٥) ينظر: كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ):٧/ ٨٦.
(٦) ينظر:تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ):١٢/ ٨٢.
(٧) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت:٣٩٥هـ): مادة (نص): ٥/ ٣٥٦.
(٨) ينظر: لسان العرب: جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ): ٧/ ٩٧.

القراءة. فهو من الإعلام كما نقله الكفوي في كلياته[1].

من هذا يتبين لنا أن مفهوم النص يطلق على شيء حسي فالرفع والارتفاع والانتهاء وإن كان أوصافا إلا أنها أمور حسية ولهذا يقال نصت الظبية جيدها ويقال نص الحديث رفعه وأسنده إلى المحدث عنه والمتاع جعل بعضه فوق بعض وفلانا أقعده على المنصة والشيء حركه يقال هو ينص أنفه غضبا والدابة استحثها شديدا سميت (المنصة) وهي كرسي مرتفع أو سرير يعد للخطيب ليخطب أو للعروس لتجلى وقد يزين بثياب وفرش بسبب الارتفاع وكلها أمور حسية وقد توصف هذه الحالة فتدخل في الأمور المعنوية فيقال:ارتفاع وظهور وكل ذلك حاصل فيما تقدم من أمور تدخل في الوصف والأمور المعنوية،والله تعالى أعلم.

وفي الاصطلاح يطلق على:الكتاب والسنة وإلى ما لا يحتمل إلا معنى واحدا[2]

أو هو: صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف[3].

علما أن النص يطلق في عرف الأصوليين على: كلّ ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب والسّنّة سواء كان ظاهرا أو نصا أو مفسرا حقيقة أو مجازا عاما أو خاصا اعتبارا منهم للغالب، لأنّ عامة ما ورد من صاحب الشرع نصوص، وهذا المعنى هو المراد بالنصوص في قولهم عبارة النّصّ وإشارة النّصّ ودلالة النّصّ واقتضاء النّصّ[4].

أما القرآني: وهو اسم منسوب إلى قُرْآن، والقرآن أيا كان مشتقا أو غير ذلك فهو في اللغة مصدر قرَأَ:قال تعالى: (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ) قراءته[5].

وفي الاصطلاح: القُرآن: كلام الله المُنزّل على رسوله محمّد صلّى الله عليه وسلّم وحْيًا بواسطة جبريل عليه السّلام، المكتوب في المصاحف والمحفوظ في الصُّدور[6]، عدد سوره ١١٤ سورة، ويُقسَّم إلى ٣٠ جزءًا، وهو المصدر الأوَّل من مصادر التَّشريع الإسلاميّ[7]» قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[8].

أما النص القرآني كونه مركب وصفي فيعرف كما عرفه الأصوليون بأنه كلّ ملفوظ مفهوم المعنى من الكتاب سواء كان ظاهرا أو نصا أو مفسرا حقيقة أو

(١) ينظر:كتاب الكليات: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ):٩٠٨.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة:٢/ ٩٢٦.
(٤) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: للتهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ):٢/ ١٦٩٦.
(٥) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل:٣/ ١٧٨٩.
(٦) ينظر: التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ): :١٧٤. والتوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ):٢٦٩.
(٧) وينظر:معجم اللغة العربية والمعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل:١/ ٢٦٩
(٨) سورة يوسف الآية:٢.

مجازا عاما أو خاصا اعتبارا منهم للغالب[1]، إلا أن وصفه بالقرآني يخرج السنة وقد أدخل علماء الأصول السنة في تعريفهم للنص المطلق.

أما الحداثيون مأخوذة من الحداثة، والحداثة مصدر للفعل الثلاثي حدَثَ ويأتي لمعان عدة منها صغير السن وضد القديم والحدث من أحداث الدهر شبه النازلة[2]، وَرجل حدث: بمعنى حسن الحَدِيث[3]

وقال ابن فارس: «الحاء والدال والثاء أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن. يقال حدث أمر بعد أن لم يكن. والرجل الحدث: الطري السن. والحديث من هذا – لأنه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء. ورجل حدث: حسن الحديث. ورجل حدث نساء، إذا كان يتحدث إليهن. ويقال هذه حديثى حسنة، كخطيبى، يراد به الحديث»[4].

وبهذا يتبين لنا أن الحدث يطلق ويراد به أن يكون ضد القديم ولعله ألصق معنى بموضوعنا وهو وصف لشي وجد في الحاضر واستحدث والله تعالى اعلم.

أما في الاصطلاح فالحداثة: مصطلح أُطلق على عدد من الحركات الفكريَّة الدَّاعية إلى التَّجديد والثَّائرة على القديم في الآداب الغربيّة وكان لها صداها في الأدب العربيّ الحديث خاصّة بعد الحرب العالميّة الثَّانية «يميل كثير من المبدعين الآن إلى الحداثة باسم التَّجديد وتارة الصِّدق الفنيّ»[5] .

والذي يلحظ أن هذا المصطلح تعدى التجديد في الاداب الغربية وتعدى إلى قراءة نصوص القرآن لأنزال المنهجية التي سار عليها أولئك الذين يدعون التجديد في الآداب الغربية فحدث خللا في قراءة النصوص القرآنية لأنهم لم يلتزموا المنهج العلمي في فهم النص القرآني لأن النصوص الأدبيية غير النصوص المقدسة فحدثة هذا الاضطراب الذي أحدثه هولاء وفي الصفحات القادمة سوف نتناول ضوابط فهم النص القرآني وما هي الأمور التي تجعل القراءة صحيحة مقبولة أو مردودة ومن ثم نبين هذه الحركة الفكرية التي أساءت للنص وفهمه فوقعت في الخطل والخطاء واللغلط وهذا في المباحث القادمة.

❊ ❊ ❊

المبحث الأول
فهم النص القرآني ضوابطه وأهميته

وهذا المبحث سوف أتكلم فيه عن ضوابط فهم النص وأهمية هذا الفهم والأسباب التي دعت إلى هذا

(١) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: للتهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ):٢/ ١٦٩٥.

(٢) ينظر:كتاب العين:الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت:١٧٠ه) ،مادة (حدث):٣/ ١٧٧.

(٣) ينظر:جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)::١/ ٤١٦.

(٤) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت:٣٩٥ه) مادة(حدث)٣/ ٣٦.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل:١/ ٤٥٣.

الفهم على شكل مطالب:

المطلب الأول: ضوابط فهم النص القرآني.

لكي يكون الفهم مقبولا في تفسيره لنصوص القرآن الكريم وضع العلماء ضوابط مهمة لفهمه بمثابة القواعد التي تحده فلا يزيغ عن الفهم الصحيح لمراد الله من النص الذي أنزله وقبل بيان تلك الضوابط لا بد من معرفة معنى الضابط في اللغة والاصطلاح

فأقول الضابط في اللغة اسم فاعل للفعل الثلاثي ضبط يضبط ضبطا ،والضبط لزوم شيء وعدم المفارقة في كل شيء[1] بمعنى الأخذ به بشدة وحزم[2] وقد يطلق ويراد به الحفظ بحزم كما جاء في الصحاح[3] وقد أورد ابن فارس هذه الكلمة واكتفى بكونها أصلا واحدا من ضبط الشيء ضبطا ولم يذكر لها معنى سوى تصريفها مما يدلل على أن الضبط هو أعلى ما في هذه الكلمة من نبرة تؤكد معناها بنفسها[4]

وفيه معنى الحبس وعدم الانفلات[5].

يتبين لنا أن الضبط: هو وصف لحالة يكون عليها الشيء من الحفظ دون الإفلات لذا فهو يطلق ويراد به شدته لئلا يفلت منه شيء وهذه اللفظة لا تستعمل في حق الله تعالى لأنه لا يخاف الإفلات وتستعار في الحساب فيقال: فلان يضبط الحساب إذا كان يتحفظ فيه[6]، ويقد يطلق على ضبط الأمور وهو من المجاز للدلالة على الحزم وعدم الخلل[7]،

أما في الاصطلاح فلم أجد تعريفا اصطلاحيا إلا تعريفا واحدا أورده صاحب كتاب معجم اللغة العربية المعاصرة دكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت:١٤٢٤ه) ولعله ما يخص موضوعنا وهو: سماع العلم كما ينبغي أن يكون، وفهم معناه، والاحتفاظ به إلى أن يحتاج إليه[8]،

وقيل في تعريف الضابط هو:حكم كلي ينطبق على جزئياته[9]،

ونرجع لنقرر ضوابط فهم النص القرآني ولكي يكون فهم النص منضبطا لا بد من وجود أمور للنص المقروء منها:

أولا:المعرفة التامة بلغة النص المقروء(النص القرآني): فالعلم بلغة العرب وما فيها من دلالات ومعانٍ، ففهم النص وسياقه، وعمومه وخصوصه،

(١) ينظر:كتاب العين:الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت:١٧٠ه) :مادة(ضبط)٧/ ٢٣.
(٢) ينظر: جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ):١/ ٣٥٢.
(٣) ينظر: الصحاح: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ):مادة(ضبط):٣/ ١١٣٩.
(٤) ينظر: مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ):مادة(ضبط):٣/ ٣٨٦.
(٥) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]:٨/ ١٧٥.
(٦) ينظر: معجم الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ):٣٢٦.
(٧) ينظر: أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ):٥٧٢.
(٨) معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل:٢/ ١٣٤٦.
(٩) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة:٥٣٣.

وحقيقته ومجازه مما يزيل كثيرًا من الإشكالات، ويدرأ كثيرًا من التعارضات[1].فينبغي أن يفهم تفسير التراكيب القرآنية بحسب استعمال اللغة العربية، وأخذ المعاني من دلالة الألفاظ والتراكيب وخواص البلاغة، واستخلاص المعاني المستنبطة منها عن طرق دلالات المطابقة والتضمين والالتزام مما يسمح به النظم البليغ ولو تعددت المحامل والاحتمالات،وكذلك نقل ما يؤثر عن أئمة المفسّرين من السلف والخلف مما ليس مجافياً للأصول ولا للعربية، مع تجنّب الاستطراد والاندفاع في أغراض شتى ليست من مفادات تراكيب القرآن.[2] وذلك يكون مِنْ تمكُّنٍ من ناصيّة اللغة العربية وهو بدوره يتمثل بالأدوات اللازمة لحسن فهم النص واستثمار الأحكام الشرعية منه.

ثانيا: التمرُّس في التعامل مع النصوص الشرعية بحيث يُكتسب صاحبه دُرْبَة وممارسة بأساليب الشارع في الخطاب ومقاصده العامة من التشريع، وعلمٍ بقواعد الأحكام وأصولها[3].

ثالثا:اطلاع على اللازم معرفته من أسباب النزول. وذلك لأن معرفة السبب تساعد في توضيح المعنى المراد مما يزيده وضوحًا وجلاءً، وتبين الحكمة الباعثة على تشريع الحكم منه، وهذا يوجب معرفة مايحاط به من ظروف، أو أسباب نزول أو أسباب ورود والتي جمعها العلماء، وبعد أنايتأكد من ثبوتها وصحتها[4].

فلا يمكن لأي شخص لم يستجمع شروط النظر الصحيح في النصوص الشرعية أن يدعي كمال قدرته على إدراك مقاصد الشارع من تشريعاته وأحكامه[5].

وينبغي ملاحظة أمرين: الأول أنه ليست كلّ النصوص تختلف فيها الأفهام، فما كان منها واضح المعنى تمام الوضوح فإنه لا يحتمل اختلافا، ومخالفته تُعدّ شذوذًا مردودًا على صاحبه، والثاني أن الاجتهاد في فهم النص يجب أن يكون خاضعًا لقواعد موضوعية لا يصح تجاوزها، وذلك بأن يكون المعنى المستنبط يحتمله الكلام الذي استنبط منه، وأن لا يكون السياق الخاص أو العام للنص مخالفًا لما يدَّعيه المستنبط من معنى؛ إذْ إعطاء النص أيّ معنى من المعاني على خلاف السياق الوارد فيه (سواء أكان السياق بمعناه الخاص أم بمعناه العام) يُعدّ ادعاء لا دليل عليه[6].وهذا يوصلنا إلى النقطة الأخرى لفهم النص وهي:

رابعا: سياق اللفظ في النص: يجب فهم اللفظ بحسب سياقه في النص، ومراعاة ما قبله وما بعده، لتحديد دلالة اللفظ ومعناه، وبيان المراد منه، مع مراعاة القرائن اللفظية السابقة أو اللاحقة.

في النص، فإن قرينة السياق تساعد على دلالة المراد

(١) ينظر:معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة: محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني:٢٧٢.

(٢) ينظر:مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ):١/ ٣١٨.

(٣) ينظر:طرق الكشف عن مقاصد الشارع: الدكتور نعمان جغيم:٩٠.

(٤) ينظر:الوجيز في أصول الفقه الإسلامي: الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي:٢/ ٩

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) المصدر السابق: ٩٠.

من الكلام وينقسم السياق[1] على قسمين :

الأول :اللغوي، أي الجمل المكوِّنة والسابقة واللاحقة لنص الخطاب المرادُ تفسيره واستخلاصُ المقصود منه. فالنص القرآني لا يمكن -عادةً- أخذه مبتورًا عن النصوص الأخرى، سواء النصوص الواردة في السياق اللغوي بمعناه الخاص، أي الجمل السابقة واللاحقة له، أو بمعناه العام، أي النصوص الأخرى التي لها علاقة ما بهذا النص مع ورودها في مواضع وأزمنة مختلفة عما ورد فيه ذلك النص، حيث يكون استحضار تلك النصوص معينًا على فهم هذا النص، إِمَّا لكونها مُبَيِّنَةً له، أو مكمِّلة لمعناه، أو مخصِّصة لعمومه، أو مقيِّدة لإطلاقه.

والثاني: السياق الاجتماعي، وهو الذي يسمى بالمقام، وتدخل فيه أسباب النزول، والظروف النفسية والاجتماعية السائدة وقت ورود النص الشرعي.وله دوره وأهميته في فهم المقصود من الخطاب: ويقصد به حصيلة الظروف الاجتماعية والطبيعية والنفسية السائدة وقت صدور الخطاب، والتي يُتوقعّ أن يكون لها تأثير في صيغة الخطاب وتوجيهه وفهمه.ومقامات الخطاب بما تشتمل عليه من علاقات اجتماعية وعقلية وذوقية وعاطفية وعُرفيّة -سواء بين طرفي الخطاب، أو بينهما واللغة نفسها- يجعلها من العسير على غير أبناء تلك البيئة واللغة الإحاطة بها والتفاعل معها، ولا يمكن الحصول على كلّ ذلك من مجرد قراءة تاريخ هذا المجتمع وأدبه، «ذلك بأن إطار الثقافة الاجتماعية لكلّ أمّة يفرض من تلك العلاقات والارتباطات بالمواقف وبالموضوعات ما لا يفهمه تمامًا إلّا الناشئون في المجتمع ذاته والثقافة ذاتها، ولو أن المتخصص الأجنبي تمكّن من تحصيل فهم الارتباطات العقليّة أو حتى الاجتماعيّة بالموضوعات والمواقف فكيف يتسنى له مهما حاول أن يفهم الارتباطات الذوقيّة والعاطفية في المجتمع»[2].

خامسا: المقاصد العامة:لا بد من فهم النص في ضوء المقاصد العامة للشريعة التي جاءت لتحقيق مصالح العباد في جلب المنافع لهم ودرء المفاسد عنهم، ويكون ذلك في كل نص جزئي ليتفق مع المبادئ العامة في الشرع[3].

هذه أهم الضوابط التي يمكن فهم النص القرآني بوجودها والذي ضل به كثير من الحداثيين الذين نادوا بالقراءة الأدبية والتاريخية للنص القرآني ولذا جاءت أفهامهم سقيمة لا ترقى للفهم الصحيح من الآيات القرآنية فجاءوا بطامات كبيرة يأنفها الفهم الصحيح ضمن الضوابط المنهجية المتبعة بحجة مواكبة العصر ومسايرة التطور وذلك عن طريق لي النصوص وتحريفها حتى لا تكون عائقًا عن الحداثة والتقدم[4].

(١) الوجيز في أصول الفقه الإسلامي: الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي:٢/ ١٠.

(٢) طرق الكشف عن مقاصد الشارع: الدكتور نعمان جغيم:٩٥.

(٣) ينظر:المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره: الدكتور محمد علي الحسن:١٤٠.

(٤) ينظر: معركة النص: فهد بن صالح العجلان:١/ ١٢٧.

المطلب الثاني: أهمية فهم النص:

فهم النص القرآني يعد من الأهمية بمكان وذلك لحاجة الأمة الماسة إلى فهم القرآن الذي هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يَخْلَق عن كثرة الترديد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، ومن تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله[1]. وفهم القرآن الكريم هو لب معرفة القرآن الكريم ومفتاح العمل به[2] وقد وردت آيات عدة تبين أهمية فهم القرآن ودوره في الهدية والرشاد للإنسان في حياته الدنيا بل أن هذا الفهم يؤدي إلى الحياة الهانئة الطيبة على عكس من لا يفهم من القرآن شيئا وأعرض عنه وعن فهمه فإن له معيشة ضيقة غير هانئة فقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾[3] فالمعيشة الضيقة الشديدة والتي نتيجتها القلق والحرص على الدنيا والتهالك على ازديادها والخوف من انتقاصها، فترى الشح غالبا عليه، والبخل راسخا فى أعراقه،وذلك بسبب الإعراض عن الفهم الصحيح للآيات

فالجهالة التي كانت له في الدنيا تبقى كذلك في الآخرة، وهذا يصير سببا لأعظم الآلام الروحية له، فالله عز اسمه جعل لمن اتبع هداه وتمسك بدينه العيش الهنيء الذي لا همّ فيه ولا غم، وجعل لمن أعرض عن دينه التعب والنصب، وهو فى الآخرة أشد تعبا، وأعظم ضيقا، وأكثر ألما[4]. والاستفادة الحقة من هذا الكتاب الكريم تكون بدوام الصلة به علما وعملا تلاوة وتدبرا، وفهما: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾[5] ومن سبل ذلك التدبر، والفهم: النظر فيما كتب أهل العلم في تفسير القرآن العظيم؛ فإن من كمال حفظ الله عز وجل لهذا الذكر الحكيم أن قيض له جهابذة فهموا مراد الله عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم فألفوا في ذلك كتبا بسطوا فيها ألفاظ القرآن، وأبانوا ما يصعب فهمه، وفصلوا في ذلك ما جاء فيه من القواعد والكليات، ودفعوا بذلك التعارضات المتوهمة، وبينوا مراجع الضمائر، وعينوا المعاني المرادة إذا احتمل الكلام أوجها متعددة وكانوا طرائق قددا

(١) هذا بعض حديث أخرجه الترمذي في سننه: ٥/ ١٧٢،برقم(٢٩٠٦)قال عنه الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفي الحارث مقال / قال الشيخ الألباني : ضعيف.

(٢) ينظر:إدراك المعلم للأساليب التربوية الفاعلة في حلقات الجمعيات الخيرية لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم: د حامد بن سالم بن عايض اللقماني الحربي: ١٣.

(٣) سورة طه الآيات :١٢٣-١٢٦.

(٤) ينظر: تفسير المراغي:١٦/ ١٦١.

(٥) سورة ص الآية:٢٩.

في عنايتهم بهذا الكتاب العظيم[1]

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَه سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]

فالقرآن، يستضاء به في ظلمات الجهالة وعماية الضلالة.وهو كتاب مبين لكل ما يحتاج الخلق إليه من أمور دينهم ودنياهم. من العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن العلم بأحكامه الشرعية وأحكامه الجزائية.وهو الفهم الصحيح لما جاء به: فيهدي الله به الذي اجتهد وحرص على بلوغ مرضاة الله، وصار قصده حسنا -سبل السلام التي تسلم صاحبها من العذاب، وتوصل به إلى دار السلام، وهو العلم بالحق والعمل به، تفصيلا وإجمالا [3]. إنها حقيقة يجدها المؤمن في قلبه وفي كيانه وفي حياته وفي رؤيته وتقديره للأشياء والأحداث والأشخاص. يجدها بمجرد أن يجد حقيقة الإيمان في قلبه.. «نور» نور تشرق به كينونته فتشف وتخف وترف. ويشرق به كل شيء أمامه فيتضح ويتكشف ويستقيم وهذا نتيجة فهم القرآن وتدبره[4] ،وقد قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[5] يخبر تعالى أنه أنزل كتابه على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لنفع الخلق، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق السيئة وأنواع المعاصي إلى نور العلم والإيمان والأخلاق الحسنة، وقوله: ﴿بإذن ربهم﴾ أي: لا يحصل منهم المراد المحبوب لله، إلا بإرادة من الله ومعونة، ففيه حث للعباد على الاستعانة بربهم.ثم فسر النور الذي يهديهم إليه هذا الكتاب فقال: ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ أي: الموصل إليه وإلى دار كرامته، المشتمل على العلم بالحق والعمل به، وفي ذكر ﴿العزيز الحميد﴾ بعد ذكر الصراط الموصل إليه إشارة إلى أن من سلكه فهو عزيز بعز الله له قوي ولو لم يكن له أنصار إلا الله، محمود في أموره كلها، تحسن عاقبته[6]. فوراء هذا التعبير القصير: «لتخرج الناس من الظلمات إلى النور..» لآفاق بعيدة لحقائق ضخمة عميقة في عالم العقل والقلب. وفي عالم الحياة والواقع، لا يبلغها التعبير البشري[7] ،فنهضة الأفراد والأمم لا يمكن أن تكون صحيحة عن تجربة ولا سهلة متيسرة ولا رائعة مدهشة إلا عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن ونظمه الحكيمة التي روعيت فيها جميع عناصر السعادة للنوع البشري على

(١) ينظر:تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦هـ):١٣.
(٢) سورة المائدة:الآيتان: ١٥، ١٦.
(٣) ينظر:تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦هـ):٢٢٦.
(٤) في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ):٢/ ٨٦٢.
(٥) سورة إبراهيم الآيتان:١-٢.
(٦) ينظر:تفسير السعدي: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت: ١٣٧٦هـ):٤٢١.
(٧) في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ):٤/ ٢٠٨٥.

ما أحاط به علم خالقه الحكيم ومن المعلوم أن العمل تعاليمه لا تكون إلا بعد فهم القرآن وتدبره والوقوف على ما حوى من نصح ورشد والإلمام بمبادئه عن طريق تلك القوة الهائلة التي يحملها أسلوبه الجميل البارع البديع المعجز وهذا لا يتحقق إلا عن طريق كشف وبيان ما تدل عليه ألفاظ القرآن وهو ما يطلق عليه علم التفسير خصوصا في هذه الأيام الأخيرة التي فسدت فيها ملكة البيان العربي وضاعت فيها خصائص العروبة حتى من سلائل العرب أنفسهم[1].

❊ ❊ ❊

المبحث الثاني
فهم النص القرآني
بين القبول والرد

في هذا المبحث سوف نتعرف على المفاهيم الصحيحة المقبولة للنص القرآني والمفاهيم السقيم المردودة.في مطلبين

المطلب الأول: الفهم الصحيح المقبول للنص القرآني

من المعلوم أن القرآن من حيث تفسيره ليس على درجةٍ واحدة، وليست آياته على مستوًى واحدٍ في هذا المجال، وقد تكلم العلماء قديماً عن هذا،وقد أدرك ابن عباس هذه الحقيقة فقال عن فهم القرآن وتفسيره أنه على أربعة أوجه[2]:

١ – وجهٌ تعرفه العرب من كلامها.

٢ – تفسيرٌ لا يُعذر أحد بجهالته.

٣ – تفسيرٌ يعلمه العلماء.

٤ – تفسير لا يعلمه إلا الله تعالى.

فمن هذه الحقيقة بانت لنا أنظار العلماء في فهم النص القرآني إلا أن هذه الأنظار قد تقترب من فهم القرآن المراد، ومما لا شك فيه أن فهم العالم للنص القرآني مع مقصده تعصمه من الوقوع في الزلل بل تزيد في توسيع المعنى وتعطيه أبعادا جديدة للنص لم يكن يتوقعها بدون هذه النظرة الثاقبة مع معرفة المقصد من الآية والتي تحول دون الوقوع في الزلل والتعصب نتيجة الحرفية في التعامل مع النصوص ،وأسرار القرآن لا تنكشف دون الفهم الصحيح المنضبط بالضوابط التي تكلمنا عليها في المبحث السابق مع التفكر في معاني النص ومدلولاته ودقة التأمل وطول النظر وفي هذا يقول ابن القيم الجوزية «وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْوَاجِبَ فِيمَا عَلَّقَ عَلَيْهِ الشَّارِعُ الْأَحْكَامَ مِنْ الْأَلْفَاظِ وَالْمَعَانِي أَنْ لَا يَتَجَاوَزَ بِأَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا، وَلَا يَقْصُرَ بِهَا، وَيُعْطِيَ اللَّفْظَ حَقَّهُ وَالْمَعْنَى حَقَّهُ؛ وَقَدْ مَدَحَ اللهُ – تَعَالَى – أَهْلَ الِاسْتِنْبَاطِ فِي كِتَابِهِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ؛ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الِاسْتِنْبَاطَ إنَّمَا هُوَ اسْتِنْبَاطُ الْمَعَانِي وَالْعِلَلِ وَنِسْبَةُ بَعْضِهَا إلَى بَعْضٍ، فَيُعْتَبَرُ مَا يَصِحُّ مِنْهَا

(١) ينظر:مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ):٢/ ٦

(٢) ينظر:البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ):٢/ ١٦٤.

بِصِحَّةِ مِثْلِهِ وَمُشْبِهِهِ وَنَظِيرِهِ، وَيُلْغَى مَا لَا يَصِحُّ «[1]

وقد قال الأمام علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) في هذا المجال عندما سئل عن أمر تخصيصهم دون الناس من قبل النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له: «هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء دون الناس؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه».

ومعلوم أن هذا الفهم قدر زائد على معرفة موضوع اللفظ وعمومه أو خصوصه فإن هذا قدر مشترك بين سائر من يعرف لغة العرب وإنما هذا فهم لوازم المعنى ونظائره ومراد المتكلم بكلامه ومعرفة حدود كلامه بحيث لا يدخل فيها غير المراد ولا يخرج منها شيء من المراد[2].

فمن طبيعة القرآن أن اللفظة الواحدة منه قد تحتمل أكثر من معنى وهذا ما قرره الإمام علي رضي الله عنه لما قال له ابن عباس(رضي الله عنهما) في شأن الخوارج: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنَا أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهَّ مِنْهُمْ فِي بُيُوتِنَا نَزَلَ قَالَ: صَدَقْتَ وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ تَقُولُ وَيَقُولُونَ وَلَكِنْ خَاصِمْهُمْ بِالسُّنَنِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصًا فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَخَاصَمَهُمْ بِالسُّنَنِ فَلَمْ تَبْقَ بِأَيْدِيهِمْ حُجَّةٌ[3].وهذا ماذكره أبو الدرداء (رضي الله عنه) بقوله «لا يكون الرجل فقيها حتى يحمل الآية الواحدة على محامل متعددة[4]، وهذه الطبيعة للقرآن الكريم لها أنواع شتى منها اللفظ المشترك الذي يحمل أكثر من معنى ومنها اللفظ المتردد بين حمله على المجاز أو الحقيقة وغير ذلك مما يجعل اللغة تكتسب اتساعا كبيرا أكثر من غيرها مما تعظم معه الأهمية وتشتد الضرورة بسببه إلى الإحاطة بألفاظها ومراميها القريبة والبعيدة مع فهم مقصد المتكلم ومراده ومعرفة مآلاته ولقد كان الرسول يناطق العرب بلغتهم كما يناطقهم بعرف شرعه[5]» وذلك لأن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا﴾[6]... إلى غير ذلك مما يدل على أنه عربي وبلسان العرب، لا أنه أعجمي ولا بلسان العجم، فمن أراد فهمه، فمن جهة لسان العرب الذي أنزل القرآن بلغتهم حتى يفهمه، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة»[7]ولا يتأتّى له الفهم الصحيح إلا بمعرفة اللغة وعلومها، وتصوره الدقيق لاستعمالات العربية فيها، والممارسة لجملة من فنونها، ارتياضاً بها، وحذقاً لتصرّفات القول حذقاً يصل به إلى اكتشاف مغالق المعاني وأسرار البيان وخصائص

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين: شمس الدين ابن قيم الجوزية (: ٧٥١هـ):١/ ١٧٢.
(٢) المصدر السابق:١/ ٢٢٥.
(٣) ينظر:الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ):٢/ ١٤٥.
(٤) ينظر:الفوز الكبير في أصول التفسير:ولي الله الدهلوي(ت: ١١٧٦هـ): ص٩٨.
(٥) ينظر:المستصفى في علم الأصول: أبو حامد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ):٢/ ٣٤،وأثر النظرة المقاصدية في فهم القرآن الكريم:: ٣٦٠.
(٦) سورة يوسف من الآية:٢.
(٧) ينظر:الموافقات: للشاطبي (ت: ٧٩٠هـ):٢/ ١٠١.

التعبير لدى الأمة من أهل هذه اللغة الذين خاطبهم الله بلسانهم، وأنزل عليهم كتاباً عربياً مبيناً لا يَخْلَقُ على طول الردِّ. فصحة التفسير يكفلها شرح التراكيب القرآنية ببيان المقصود من ألفاظ القرآن بحسب ما جرى عليه استعمالها في اللغة العربية[1]. وهذا له أثره في فهم المعنى لأن المفسر يدرك المعاني القريبة والبعيد من اللفظ وهذا يجعله يفسر القرآن ضمن هذه المعاني الموافقة للفظ والمراد والتي توسع من مفهوم الآية،كما ينبغي أن يلاحظ ما قاله الذهبي في الفهم الصحيح فقال:» يجب على من يريد الفهم الصحيح أن يتتبع الاصطلاحات التي حدثت في الملة، ليفرق بينها وبين ما ورد في الكتاب، فكثيرا ما يفسر المفسرون كلمات القرآن بالاصطلاحات التي حدثت في الملة بعد القرون الثلاثة الأولى، فعلى المدقق أن يفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه، بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه وينظر فيه، فربما استعمل بمعان مختلفة كلفظ الهداية وغيره، ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة معنى الآية: فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه، وقد قالوا: إن القرآن يفسر بعضه بعضا، وإن أفضل قرينة تقوم على حقيقة معنى اللفظ موافقته لما سيق له من القول، واتفاقه مع جملة المعنى، وائتلافه مع القصد الذي جاء له الكتاب بجملته»[2].إضافة إلى ما تقدم لكي يكون الفهم للنص القرآني سليما لا بد من الذكاء وحسن الفهم وجودة القريحة، والموهبةً الفذة، التي تعينه على الوقفة الصحيحة أمام الآية، والالتفات إلى لطائفها وإيحاءاتها وإشاراتها، ولفتاتها الخفية التي قد تخفى على كثيرين... فإذا أدرك الناظر في القرآن هذه المفاهيم، عرف ما يمكن أن يقوم به في فهم معاني القرآن، وما تُرك من مجالاتٍ فسيحةٍ شاسعةٍ لتدبر آياته، وعرْض مفاهيمه، والإشارة إلى معانيه ولطائفه وأحكامه ودلالاته، بحيث لو أمضى كل عمره في هذا، فلن يقف منه إلا على قليلٍ لا يكاد يُذكر، فيبذل أقصى جهده وغاية وسعه[3].

المطلب الثاني :الفهم السقيم المردود للنص القرآني.

تقدم في المطلب السابق أن الفهم الصحيح المقبول كان يرتكز على أمور تجعل الفهم مقبولا وبخلافه تكون الأفهام ناقصة وسقيمة إضافة إلى تلك الأمور وجدت أمور أخرى تجعل الأفهام سقيمة منها:

أولا: دخول عالم القرآن دون مقررات سابقة

قد يجمع الناظر للنص القرآني مقررات وثقافات من مصادر عديدة، وقد تكون هذه المصادر فيها تعارض أو تداخل أو تناقض، فيكون مشوشا الفكر، مما يؤدي إلى تناقض في تصوراته، وتعارض في نظراته .. وهذا حال كثير من المثقفين فى عصرنا، الذين استقوا علومهم من الينابيع الملوثة، وحصلوا ثقافاتهم من

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ):١/ ٢٤٧.

(٢) التفسير والمفسرون: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ):١/ ١٨٣.

(٣) ينظر: تصويبات في فهم بعض الآيات: د صلاح عبد الفتاح الخالدي:٢٧.

المصادر الغربية الدخيلة[1] ،وهي غريبة على التوجيه القرآني، ودخيلة على التصور الإسلامي،فكانت نيتهم في النظر إلى النص القرآني القرآن مسبقة، وخلفيتهم سابقة، وهدفهم يبغى تحقيقه، فصار يعتسف الطريق، ويتكلف الأدلة، ويلوى أعناق النصوص ليا، ويقسرها قسرا، ويستنطقها استنطاقا، لتشهد له[2] ومن هؤلاء الفرق الباطنية التي لم يكن همها معرفة النص القرآني وإنما تسخير القرآن الكريم ونصوصه لتأييد مذهبهم مما أوقعهم في الفهم السقيم بله الفهم المردود ومن ذلك تفسيرهم على سبيل المثال لقوله تعالى:﴿لتركبن طبقا عن طبق﴾[3] :فقد ذكروا في تفسير هذه الآية فهما سقيما يخالف المعنى المراد فقالوا: إنه إشارة إلى أن هذه الأمة ستسلك سبيل من كان قبلها من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء[4].

ولم يكتفوا بهذا الفهم السقيم بل أخذوا يقررون على هواهم من القول بأن القرآن له باطن فذهبوا إلى القول بإن اللفظ الذي يراد به العموم ظاهرا، كثيرا ما يراد به الخصوص بحسب المعنى الباطن، فمثلا لفظ «الكافرون» الذي يراد به العموم، يقولون: هو في الباطن مخصوص بمن كفر بولاية علي[5].

ثانيا: التمسك بحرفية النص.

ويقصد به النظر إلى النص القرآني بحرفيته المجرد عن كل شيء ولا يتعمقون في التأويل ولا يغوصون وراء المعاني الدقيقة، ولا يكلفون أنفسهم عناء البحث عن أهداف القرآن وأسراره، بل يقفون عند حرفية ألفاظه، وينظرون إلى الآيات نظرة سطحية، وربما كانت الآية لا تنطبق على ما يقصدون إليه، ولا تتصل بالموضوع الذي يستدلون بها عليه، لأنهم فهموا ظاهرا معطلا، وأخذوا بفهم غير مراد[6].وهذه النظرة أحدثت فرقتين إذا ممكن أن يطلق عليهم فرقة الأولى هم الحرفيون أو النصيون وهؤلاء كان لهم وجود في السابق وقد وصل بهم الأمر إلى تكفير المسلمين المخالفين للنص فقد أوقعتهم الحرفية في التعامل مع النصوص في الزلل والتعصب ،فهم مأمورون بالأخذ بالنصوص وعدم مخالفتها،علما أن مقاصد القرآن الكريم وأسراره لا تنكشف بمجرد هذه النظرة الحرفية بل بالفهم الصحيح العميق مع التفكر بمعاني النص ومدلولاته ودقة التأمل وطول النظر فيه،وسبب هذه الزلة هو الغفلة عن اعتبار مقاصد الشارع في ذلك المعنى الذي اجتهد فيه[7] ،والذي أوقعهم في الخطأ في فهم النصوص هو إدراكهم أن الأحكام مقصورة على ما دلت عليه النصوص حرفيا دون الوقوف على المعاني والعلل التي بنيت عليها الأحكام،وذلك لأن

(١) ينظر: مفاتيح للتعامل مع القرآن: د صلاح عبد الفتاح الخالدي:٩٧.
(٢) ينظر: المصدر نفسه:٩٨.
(٣) سورة الانشقاق:الآية:١٩.
(٤) ينظر: التفسير والمفسرون: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ):٢/ ٢٤.
(٥) ينظر: المصدر نفسه.
(٦) ينظر: المصدر السابق:٢/ ٢٢٩.
(٧) ينظر: مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام:: ١٧٨.

الأحكام معللة والحكم يدور مع علته وجودا وعدما ولا يصح الاقتصار على ظواهر النصوص فالحكمة في هذا أن الشارع ببيانه علة التشريع، وحكمته في بعض الأحكام يلفت العقول إلى أن الأحكام التشريعية ليست تعبدية وإنما هي معللة بمصالح الناس، ويفتح باب الاجتهاد في تشريع كل ما يحقق مصلحة أو يدفع مفسدة[1].

وَقَدْ مَدَحَ اللهُ – تَعَالَى – أَهْلَ الِاسْتِنْبَاطِ فِي كِتَابِهِ وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ... وَاَللهُ – سُبْحَانَهُ – ذَمَّ مَنْ سَمِعَ ظَاهِرًا مُجَرَّدًا فَأَذَاعَهُ وَأَفْشَاهُ، وَحَمِدَ مَنْ اسْتَنْبَطَ مِنْ أَوَّلِ الْعِلْمِ حَقِيقَتَهُ وَمَعْنَاهُ.[2] لِأَنَّ الْمَنْصُوصَ عَلَيْهِ لَا يَحْتَاجُ إلَى اسْتِنْبَاطِهِ فَثَبَتَ بِذَلِكَ أَنَّ مِنْ أَحْكَامِ اللهِ مَا هُوَ مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ وَمِنْهَا مَا هُوَ مُودَعٌ فِي النَّصِّ وقَدْ كلفنا الله بالوصول إلى الاستدلال عَلَيْهِ وَاسْتِنْبَاطِهِ[3]،والتقيد بحرفية النص هو تقييد لنصوص القرآن بحالة من الحالات أو فترة من الزمان وقصورها على شخص ما أو قوم ما دون أن تكون محرر من قيود الزمان والمكان والأشخاص والأقوام، مما يجعلها قراءة خاطئة فيجعل النصوص تذوى وتموت .. وتتحول إلى عبارات فارغة، تتحدث عن فترة من التاريخ سابقة لأمة من الناس ماضية[4]

ومن أمثلة ذلك ما ورد عن الخوارج من تمسكهم بظاهر النصوص إلى القول: «لو أن رجلا أكل من مال يتيم فلسين وجبت له النار، لقوله تعالى ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾[5]، ولو قتل اليتيم أو بقر بطنه لم تجب له النار، لأن الله لم ينص على ذلك»[6].

أما الفرقة الثانية والتي كانت تجعل من النص غير مقدس وكونه نصا أدبيا تأريخيا والذين يعرفون بالحداثيين أو العصرانيين أو التنويريين فهؤلا هم محل حديثنا لذا سوف أفرد لهم مبحثا للحديث عنهم.

❊ ❊ ❊

المبحث الثالث:
الحداثيون[7] والقراءة الخاطئة لنصوص القرآن

وهم الفرقة الثانية من الفرق التي أساءت فهم النص القرآني والاسباب في ذلك كثيرة ولعل أشهرها أنها كانت تجعل من النص كونه غير مقدس وكونه نصا أدبيا تأريخيا

طريقتهم في النظر في النصوص تقوم على إعمال المصالح الدنيوية المحضة، ومواكبة العصر، ومسايرة

(١) ينظر: علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع: عبد الوهاب خلاف (ت: ١٣٧٥هـ): ٢٢٨.
(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ):١/ ١٧٢.
(٣) أحكام القرآن: للجصاص (ت: ٣٧٠هـ):٢/ ١٨٣.
(٤) ينظر: مفاتيح للتعامل مع القرآن:د.صلاح عبد الفتاح الخالدي:٩٧.
(٥) سورة النساء الآية:١٠.
(٦) ينظر:التفسير والمفسرون: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ):٢/ ٢٧٦.
(٧) ويطلق عليهم أيضا العصرانيون والتنويريون .

التطور، ثم وجدوا أثناء ذلك نصوصًا وأدلة لا تنتج ما يريدون، فاضطروا إلى تأويلها وتحريفها حتى لا تكون عائقًا عن الحداثة والتقدم، بل إن بعضهم لم يلتفت إليها أصلًا إلا لما رأى أن الناس منجذبون إلى هذه النصوص، فعُلِم أن مجرد الإعراض عن النصوص لا يكفي، فلا بد من عودة إليها لتخليص العقل المسلم من الانجذاب نحوها، فشتان بين من ينظر في النصوص ليهتدي بها ويسير وراءها ممن يفكِّر خارجها ولا يأتي إليها إلا لمهمة التخلُّص منها. فنهاية الأمر في تقديم المصلحة على النص هو أن تكون النصوص عبئًا لا فائدة منها؛ فالإنسان يتبع مصالحه أينما كانت، فإن وافق المصلحة عمل بالنص اتباعًا للمصلحة، وإن خالفه عمل بالمصلحة، فكان وجود النص عبئًا وتلبيسًا وإشغالًا للناس لا غير[1]، من الذين اتخذوا الدراسات الإسلامية ميدانًا لهذا التأويل العبثي نصر أبو زيد يقول -عن القرآن الكريم -: إنه نص بشري، ومُنْتَج ثقافي .. لا قداسة له! وأن بينه وبين الشعر الجاهلي -وخاصة شعر الصعاليك- شبهًا كبيرًا! وبنص عباراته -التي لا تحتاج إلى تعليق- يقول:

«من الواقع تكوَّن النص [القرآن]، ومن لغته وثقافته صيغت مفاهيمه، فالواقع هو الذي أنتج النص .. الواقع أولاً، والواقع ثانيًا، والواقع أخيرًا.

لقد تشكل القرآن من خلال ثقافة شفاهية .. وهذه الثقافة هي الفاعل، والنص منفعل ومفعول .. فالنص القرآني في حقيقته وجوهره مُنْتَج ثقافي... والنص القرآني منظومة من مجموعة من النصوص، وهو يتشابه في تركيبته تلك مع النص الشعري، كما هو واضح من المعلقات الجاهلية مثلاً، والفارق بين القرآن وبين المعلقة من هذه الزاوية المحددة يتمثل في المدى الزمني الذي استغرقه تكوّن النص القرآني[2]، فالقراءة الخاطئة للنص ودخول بمقررات سابقة هي التي أوقعت هذه الفئة من الناس في شراك الفهم الخاطئ والتي كانت توازي الفرق الأولى بتزمتها وحرفيتها النصية التي جعلتها تقع في الفهم الخاطئ المردود.

ومن هؤلاء الحداثيون أيضا حسن حنفي[3] فقد ذهب إلى أن القرآن الكريم عبارة عن مجموعة من المواقف التي طرأت على الواقع الإسلامي الأول والتي استدعت حلولا وكل موقف يمثل نمطا مثاليا يمكن ان يتكرر في كل زمان ومكان[4]

فهو يتناول القرآن الكريم ليس على أساس أنه كتاب منزل من قبل الله تعالى ،بل أنه تراث وتاريخ امة من الأمم والذي يلحظ على هؤلاء الحداثيين أنهم يسعون جاهدين إلى جعل القرآن يحتمل التأويل ولكن التأويل الذي لا يكون منضبطا ضمن الضوابط

(١) معركة النص: فهد بن صالح العجلان:١٢٧.

(٢) أعلام وأقزام في ميزان الإسلام: أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني:٢/ ٥.

(٣) حسن حنفي: مفكر مصري يقيم في القاهرة يعمل استاذا جامعيا وواحد من منظري تيار اليسار الإسلامي ينظر: ويكيبيديا.

(٤) دراسات إسلامية :حسن حنفي.ص٤٠٨

المعروفة في التأويل وهذا حالهم كحال الباطنية[1] التي لا تفتأ تنحل من التأويل المنضبط لتمرير مقرراتهم وتحريفهم لأمور الوحي لسلب قدسية القرآن الكريم،وجعل للقرآن ظهرا وبطنا أو حقيقة ومجاز للدخول إلى تحريف النصوص من أوسع أبوابه.

ومن هؤلاء أيضا علي حرب[2] الذي يقرر أن كل مفكر له الحرية في ممارسة التفكير بطريقة مختلفة عن الذين سبقوه ولا ينجر لتأويلاتهم حتى لا يكون شارحا بسيطا او حارسا مدافعا عن العقيدة والحقيقة ،وهذه الحرية بمعنى النسخ والتبديل ،والتحريف والقلب والتأويل والتفسير كل هذه وجوه للتفكير والتأويل والقراءة للنص[3] فهو بهذه القراءة يهدم كل الضوابط التي وضعها العلماء في تأويل النص والتي قدمناها في المبحث السابق وبهذا يكون هدم النص كونه مقدسا ومنزها عن التأويل وان التأريخ هو من قام بالتقديس وأسبغ عليه هذه الصفة وأنه لا تنزيل من الله تعالى والذي يلحظ أن هؤلاء قد دخلوا بمقررات سابقة واعتقادات كان هدفها تحريف القرآن الكريم ولأضعاف العلاقة بين السماء والإنسان.

ومن هؤلاء الحداثيين محمد أركون[4] في كتابه القرآن من التفسير وغيره ممن رفعوا راية عدم قدسية القرآن الكريم وأنه مساو لأي نص آخر وأنه هناك أسباب سياسية وأخرى ثقافية وثالثة تربوية هي التي غطت على قدسية القرآن الكريم[5].وليس كونه منزل من قبل الله تعالى.

وبهذا يتبين لنا ألخطأ في قراءة النص وفهمه للأسباب التي قدمنها فضلا عن أمور أخرى مهمة سار فيها الحداثيون لنقض قدسية النص نلخصها في الآتي:

١- كون القرآن الكريم ليس منزل من قبل الله تعالى و كونه يجوز التعدي عليه بزيادة أو نقصان وأن هذه الأمور فرضها علماء المسلمين وهم من جعلوه مقدسا.

٢- التوسع في التأويل والذي يجعلهم في مصاف الباطنية الذين أتخذوا التأويل حسب الأهواء الخالي من الضوابط العلمية في فهم النص القرآني مما جرها إلى تحريف معاني القرآن وهو بهذا يوازون الفرق الباطنية

(١) الباطنية:فرقة كانت ترى لظواهر الآيات والأحاديث بواطن تجري مجرى اللب من القشر. واحتجوا لكل آية ظهر وبطن، وأن من وقف على علم الباطن سقطت عنه التكاليف.ينظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ):٦/ ٤٧٠.

(٢) علي حرب:هو كاتب ومفكر وفيلسوف لبناني له العديد من المؤلفات والمقالات:المصدر ويكيبيديا.

(٣) نقد النص:علي حرب.ص١٣٣.

(٤) محمد أركون:مفكر وباحث أكاديمي ومؤرخ جزائري توفي سنة(٢٠١٠م).ويكبيديا

(٥) ينظر:قضايا في نقد العقل الديني، محمد آركون:ص٢٦.

الاسماعلية[1] والقاديانية[2] والدرزية[3] وغيرهم.

٣-إخراج الألفاظ العربية عن مدلولاتها مما جعل تأويلاتهم عبارة عن هذيان افتروه على الله تعالى.وفي ذلك يقول محمد حسين الذهبي في كتابه التفسير والمفسرون ما نصه»ومن هنا بدأ الخروج عن دائرة الرأى المحمود إلى دائرة الرأى المذموم، واستفحل الأمر إلى حد جعل القوم يتسعون فى حماية عقائدهم، والترويج لمذاهبهم، بما أخرجوه للناس من تفاسير حملوا فيها كلام الله على وفق أهوائهم، ومقتضى نزعاتهم ونحلهم»[4]

وبهذا تبين لنا خطأ التأويل وفهمهم الاعوج لنصوص القرآن الكريم فالتاويل والتفسير له ضوابطه فصلت في كتب علوم القرآن والتفسير فلا يجوز لكل قارئ أن يفسر القرآن برأيه وعلى هواه بل لا بد من السير على الخطوات العلمية التي ذكرها العلماء المحققون لضبط التفسير بالرأي واتباع أحسن الطرق في فهم القرآن الكريم.

❋ ❋ ❋

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الماتعة للوقوف على حقيقة الفهم الصحيح للقرآن الكريم وبيان زيف كثير من الفرق التي حاولت جاهدة بتأويل نصوص الشريعة حسب هواها والتي كانت غايتها صد الناس عن القرآن الكريم وهي تخرج في كل زمن بأسلوب جديد لتجعل ما تقوم عليه محط نظرر القراء والناس ومن هذه الفرقة الحداثيون الذين كانت لهم قراءات خاطئة نصل إلى بيان أهم النتائج التي خرجت بها الدراسة وهي كالآتي:

١- لكي يكون الفهم مقبولا في تفسيره لنصوص القرآن الكريم وضع العلماء ضوابط مهمة لفهمه بمثابة القواعد التي تحده فلا يزيغ عن الفهم الصحيح لمراد الله من النص الذي أنزله.

٢- لعل من أهم الضوابط بعد معرفة لغة النص لبيان الفهم الصحيح للقرآن يجب فهم اللفظ بحسب سياقه في النص، ومراعاة ما قبله وما بعده، لتحديد دلالة اللفظ ومعناه.

٣- يضاف إلى ما تقدم أنه يجب فهم النص في ضوء

(١) الاسماعيلية:الإسماعلية: إحدى فرق الباطنية تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق الذي مات في حياة والده لهم بدع كثيرة منها تأليه أئمتهم والقول بالتناسخ والحلول وهي من الفرق الباطنية التي لا تزال موجودة.ينظر: «مقالات الإسلاميين: علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن(ت:٣٢٤ه):١/ ١٠٠.

(٢) نسبة إلى: مرزا غلام أحمد القادياني المتوفى سنة ١٣٢٥،المحكوم بكفرها - أي هذه الفرق - بإجماع المسلمين، وقد صدرت بكفرها قرارات شرعية دَولية. الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان: بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (ت: ١٤٢٩هـ):٩٩.

(٣) (الدَّرْزِيَّةُ) طَائِفَةٌ مِنَ الإِسْمَاعِيْلِيَّةِ يُقَدِّسُوْنَ الحَاكِمَ بِأَمْرِ الله الفَاطِمِيِّ، يُنْسَبُوْنَ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ؛ عَبْدِ الله الدَّرْزِيِّ. المُعْجَمُ الوَسِيْطُ :٢٧٩/ ١.

(٤) التفسير والمفسرون: : الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ):١/ ٢٥٨.

المقاصد العامة للشريعة التي جاءت لتحقيق مصالح العباد في جلب المنافع لهم ودرء المفاسد عنهم، وذلك في كل نص جزئي ليتفق مع المبادئ العامة في الشرع.

٤- فهم النص القرآني يعد من الأهمية بمكان وذلك لحاجة الأمة الماسة إلى فهم القرآن الذي هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، هو لب معرفة القرآن الكريم ومفتاح العمل به.

٥- لا يتحقق الفهم الصحيح للقرآن الكريم إلا عن طريق الكشف والبيان لما تدل عليه ألفاظ القرآن وهو ما نسميه بعلم التفسير خصوصا في هذه العصور الأخيرة التي فسدت فيها ملكة البيان العربي وضاعت فيها خصائص العروبة حتى من سلائل العرب أنفسهم.

٦-ومن المعلوم أن الفهم قدر زائد على معرفة موضوع اللفظ وعمومه أو خصوصه فإن هذا قدر مشترك بين سائر من يعرف لغة العرب وإنما هذا فهم لوازم المعنى ونظائره ومراد المتكلم بكلامه ومعرفة حدود كلامه بحيث لا يدخل فيها غير المراد ولا يخرج منها شيء من المراد.

٧- الفهم السقيم المردود للنص القرآني سببه أمور كثيرة لكن أساس هذه الاسباب هي دخول عالم القرآن دون مقررات سابقة وكذا التمسك بحرفية النص ويقصد به النظر إلى النص القرآني بحرفيته المجرد عن كل شيء دون التعمق في التأويل ولا الغوص وراء المعاني الدقيقة، وعدم تكليف أنفسهم عناء البحث عن أهداف القرآن وأسراره، بل الوقوف عند حرفية ألفاظه، والنظر إلى الآيات نظرة سطحية.

٨-الحداثيون من الفرق التي أساءت فهم النص القرآني لأسباب كثيرة ولعل أشهرها أنها كانت تجعل من النص كونه غير مقدس وكونه نصا أدبيا تأريخيا،متخذة طريق النظر في النصوص قائمة على إعمال المصالح الدنيوية المحضة، ومواكبة العصر، ومسايرة التطور.

٩- الحداثة وقعت في الخطأ في التأويل والفهم الاعوج لنصوص القرآن الكريم فالتاويل والتفسير له ضوابطه فصلت في كتب علوم القرآن والتفسير فلا يجوز لكل قارئ أن يفسر القرآن برأيه وعلى هواه بل لا بد من السير على الخطوات العلمية التي ذكرها العلماء المحققون لضبط التفسير بالرأي واتباع أحسن الطرق في فهم القرآن الكريم.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

١- الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان: بكر بن عبد الله (ت: ١٤٢٩هـ): دار العاصمة: ط١، ١٤١٧ هـ.

٢- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم: الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٣- أحكام القرآن: للجصاص (ت: ٣٧٠هـ)

المحقق:محمد صادق القمحاوي: دار إحياء التراث العربي - بيروت: ١٤٠٥ هـ.
٤- إدراك المعلم للأساليب التربوية الفاعلة في حلقات الجمعيات الخيرية لتعليم وتحفيظ القرآن الكريم: د حامد بن سالم بن عايض اللقماني الحربي: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة:ط١
٥- أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)تحقيق: محمد باسل عيون السود: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان:ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٦- إعلام الموقعين عن رب العالمين: لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم: دار الكتب العلمية - بيروت: ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٧- أعلام وأقزام في ميزان الإسلام:جمع وترتيب: أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني: دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة - السعودية:ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
٨- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام للذهبي (ت: ٧٤٨هـ)المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف: دار الغرب الإسلامي: ط١، ٢٠٠٣ م.
٩- تصويبات في فهم بعض الآيات: د صلاح عبد الفتاح الخالدي: دار القلم - دمشق: ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
١٠- تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ): شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م:١٦/ ١٦١.
١١- التفسير والمفسرون: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: ١٣٩٨هـ): مكتبة وهبة، القاهرة.
١٢- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)المحقق: محمد عوض مرعب: دار إحياء التراث العربي - بيروت:ط١، ٢٠٠١م.
١٣- التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ): عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت- القاهرة:ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
١٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق: مؤسسة الرسالة:ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.
١٥- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)المحقق: رمزي منير بعلبكي: دار العلم للملايين - بيروت:ط١، ١٩٨٧م.
١٦- دراسات إسلامية :حسن حنفي،مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ،مصر.
١٧- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي أبو منصور، المحقق: د. محمد جبر الألفي: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت،ط١.
١٨- طرق الكشف عن مقاصد الشارع: الدكتور

نعمان جغيم: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن: ط١، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.
١٩- علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع: عبد الوهاب خلاف (ت: ١٣٧٥هـ): مطبعة المدني «المؤسسة السعودية بمصر»:
٢٠- الفوز الكبير في أصول التفسير، ولي الله الدهلوي(ت:١١٧٦ه): عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي: دار الصحوة - القاهرة:ط٢ - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
٢١- قضايا في نقد العقل الديني، آركون ترجمة هاشم صالح دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت ط١، ١٩٩٨م.
٢٢- كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان: ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٢٣- كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي: دار ومكتبة الهلال
٢٤- كتاب الكليات ـ موافق للمطبوع: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م
٢٥- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ): دار صادر - بيروت: ط٣- ١٤١٤ هـ.
٢٦- المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان: دار ابن عفان:ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٢٧- المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(ت: ٤٥٨هـ)المحقق: عبد الحميد هنداوي: دار الكتب العلمية - بيروت:ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ .
٢٨- المستصفى في علم الأصول: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت : ٥٠٥هـ)المحقق : محمد بن سليمان الأشقر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان:ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م :٢/ ٣٤،وأثر النظرة المقاصدية في فهم القرآن الكريم:الدكتور أشرف محمود عقلة بني كنانة:طبعة جمعية المحافظة على القرآن الكريم / المملكة الأردنية الهاشميةط١، ٢٠١٠م.
٢٩- معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة: محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني: دار ابن الجوزي:ط٥، ١٤٢٧ هـ.
٣٠- معجم الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»: ط١، ١٤١٢هـ.
٣١- معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل:

عالم الكتب: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٣٢- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار): دار الدعوة.
٣٣- معركة النص: فهد بن صالح العجلان: مركز البيان للبحوث والدراسات: الأولى (جـ ١/ ١٤٣٣ هـ، جـ ٢/ ١٤٣٤ هـ).
٣٤- مفاتيح للتعامل مع القرآن: د صلاح عبد الفتاح الخالدي: دار القلم - دمشق:ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٣٥- مفردات غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهانى: موقع يعسوب
٣٦- مقاصد الشريعة الإسلامية: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ .
٣٧- مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام:دار النفائس،عمان/ الأردن١٤٢٣ه-٢٠٠٣م :ط١.
٣٨- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، دار إحياء التراث العربي بيروت،ط٣.
٣٩- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون: دار الفكر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ .
٤٠- المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره: الدكتور محمد علي الحسن، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة/ قدم له: الدكتور محمد عجاج الخطيب (رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات العربية المتحدة): موسسة الرسالة - بيروت:ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م
٤١- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ): مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه،ط٣.
٤٢- الموافقات: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)
٤٣- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ)تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم،تحقيق: د. علي دحروج،نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي،الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت: ط١ - ١٩٩٦م.
٤٤- نقد النص:علي حرب ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط١، ١٩٩٣م.ص١٣٣.
٤٥- الوجيز في أصول الفقه الإسلامي :الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا: ط٢، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م:٢/ ١٠.